

## اللغة العربية في جورجيا - الجذور التاريخية والوضع الراهن والآفاق المستقبلية

من الرمزيّ أنتني أرغب في أن أمثّل في هذا المؤتمر جورجيا - البلد الصغير الواقع على حدود الشرق والغرب التي امتزجت بشكل إيجابي في ثقافتها وعاداتها وأخلاقها على مرّ العصور التاريخية العناصر الشرقية والغربية .

أنّ جامعة تبليسي الحكومية مرّ أربعة وتسعين عامًا منذ تأسيسها وانطلاقًا من أول سنة افتتاحها بدأ تعليم اللغات الشرقية ومن بينها العربية وإجراء البحوث في الدراسات الشرقية ومن بينها الدراسات العربية ويستمرّ حتى أيامنا هذه . وذلك اعتبارًا لدور اللغات الشرقية ومُعْطِيَّاتِهَا ودَوْر الثقافة الشرقية عمومًا في إنشاء الثقافة الجورجية والتي لا غنى عنها في البحث العلمي لتأريخ جورجيا واللغة والأدب الجورجيّ .

ومن الممكن القول أنّ الدراسات العربية مجال أكثر نجاحًا ضمن الأنشطة العلميّة لمدرسة الاستشراق الجورجية التي هي واحدة من مدارس الاستشراق العالمية القديمة . إنّ نشأتها وتطويرها مرتبطان بالتأريخ القديم للعلاقات العربية - الجورجية التي تنبع من القرن السابع الميلاديّ .

منذ تأسيس كلية الاستشراق سنة 1945 في إطار جامعة تبليسي الحكومية من قبل العالم المشهور والمستشرق البارز د. **جيورجي تسيريتيلي** الاتجاهات الأساسية للدراسات العربية في جورجيا هي: العلاقات العربية - الجورجية التاريخية والثقافية واللغوية والأدبية الخ . وهنا يتركز الاهتمام الخاصّ على نشر وتحليل المصادر العربية عن منطقة القوقاز بشكل عامّ وجورجيا على وجه الخصوص وعلى البحوث في علم تأصيل المفردات الداخلة في اللغة الجورجية من العربية في أغلبية الأحوال عبر اللغتين الوسيطتين الفارسية والتركية ومع ذلك،

عدّها كثير لدرجةٍ ما (ومن الجدير بالملاحظة أنّ د. **جيورجي تسيريتيلي** نفسه كان يشترك في عمل لجنة التحرير للمعجم الجورجيّ الكبير وتمّ التسجيل والإشارة فيه إلى الكلمات الجورجية المأخوذة من العربية). أمّا المصادر التاريخية العربية من القرون الوسطى والتي يرد ذكر جورجيا فيها، إنّ البحوث حولها في أغلبية الأحوال متمثلة في الأطروحات للحصول على درجة الدكتوراه وفي المقالات العلمية المنشورة في المطبوعات الدورية العلمية في داخل البلد وخارجها وبعضها تمّ إصدارها بصورة الكتب (على سبيل المثال : "المؤرخون العرب من القرنين الرابع عشر والخامس عشر - العمري والمحبّي والقلقشندي - عن جورجيا" لـ **لديتو غوتشوليشفيلي**، صدر هذا الكتاب سنة 1988 ضمن سلسلة *المراجع الأجنبية لتاريخ جورجيا* لأكاديمية العلوم الجورجية).

والإتجاه الآخر المهمّ جدّا للدراسات العربية في جامعة تبيليسي الحكومية هو عملية تعليم اللغة العربية والأدب العربيّ وإعداد ونشر الموادّ الدراسية اللازمة لعملية التعليم (مثلّ الكتب الدراسية والقواميس المختلفة الأنواع الخ). ومن الجدير بالذكر أنّ د. **جيورجي تسيريتيلي** هو أوّل من ألّف الكتاب الدارسيّ الجامعيّ الأوّل للطلاب الجورجيين أدرج النصوص المختارة المجموعة من مؤلفات المؤرّخين العرب من القرون الوسطى وخاصةً المقتطفات منها التي كانت تشمل المعلومات عن جورجيا وهي مثلا نصوص من "كتاب مُرُوج الذهب ومعاين الجواهر" لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ومن "كتاب مسالك الممالك" لأبي اسحاق ابراهيم بن محمّد الفارسيّ الإصطخريّ المعروف بالكرخيّ و"كتاب فتوح البلدان" للإمام أبي العباس أحمد بن يحيى بن جابر البلاذريّ ومن "تاريخ الرُسل والملوك" لأبي جعفر محمّد بن جرير الطبريّ ومن "تاريخ ميفارقين" لابن الأزرق الفارقيّ ومن "صُبْح الأعشى في صناعة الإنشاء" لشهاب الدين أحمد بن عبد الله القلقشندي ومن "أخبار بلاد الكرّج" لماكاربيوس البطريرك الأنطاكيّ ومن "كتاب بارقة السُيوف الداغستانية في بعض الغزوات الشاملية" لمحمّد طاهر القراخيّ . وإنّ ذلك بُرهان بيّن على أهمية هذه المراجع لدراسة التاريخ والثقافة الجورجيتين من خلال هذه المعلومات .

تمّ إصدار هذا الكتابِ الدراسيِّ في سنة 1949 وبعد سنتين من إصداره أَلَفَ د. **جيورجي تسيريتيلي** القاموس العربيّ - الجورجيّ الذي احتوي على مجموعة الكلمات والمُفردات والاصطلاحات الخاصّة بالمراجع التاريخيّة العربيّة المندمجة في هذا الكتابِ الدراسيِّ المشار إليه. وبذلك فقد وضع العالم الكبير حجر الأساس لتقليد إصدار القواميس الفرعية الذي يستمرّ حتّى يومنا هذا (مثلا من الجدير بالذِكر أنّه في الوقتِ الأخيرِ تمّ إصدارُ القاموسِ الدبلوماسيّ العربيّ - الجورجيّ و الجورجيّ - العربيّ وصاحبة هذا القاموس المستشرقة الجورجية نونو بيروزاشفيلي). .

وهنا يتركز الاهتمام الخاصّ على ترجمة الأدب العربيّ إلى الجورجية . وقد وضع حجر الأساس لهذا الاتجاه د. **جيورجي تسيريتيلي** بترجمته الممتازة لنموذج الشعر الحرّ لأمين الريحاني "داويني ربة الوادي". ممّا يستحقّ الإشارة إليه أنّه ترجمت الأدب العربيّ إلى الجورجية (كتاب ألف ليلة وليلة والمعلمات وكليلة ودمنة والقرآن الكريم ونماذج النثر والشعر العربيّ الحديث ومن بينها نماذج القصص القصيرة والروايات المصرية ، أذكر هنا فقط أسماء بعض المؤلّفين العظماء : أمثال نجيب محفوظ وتوفيق الحكيم ومحمود تيمور ويحيى حقّي ويوسف إدريس وغيرهم ممّا لا يتسع المجال لذكرهم جميعاً) تمّ إعدادها من قِبَل المستشرقين الاختصاصيين . وفي هذا الصدد من الممكن القول أنّ الترجمة اتّجاه هامّ من الاتّجاهات الأساسيّة للدراسات العربيّة في جورجيا . وممّا يستحقّ الإشارة إليه أنّه توجد عدّة ترجمات إلى اللّغة الجورجية للقرآن الكريم : الأولى - مترجمة من اللّغة الوسيطة (الفرنسيّة) صدرت في مطلع القرن العشرين ونقله رجل الأدب والثقافة البارز **بيتري ميريباناشفيلي** . قبل ثلاثة سنوات صدرت الطبعة الثانية من القرآن الكريم المترجمة للمرّة الأولى مباشرةً من العربيّة إلى الجورجية من قِبَل المستشرق الشاب **جيورجي لوبجانيزه** . قبل سنتين تمّ إصدار الطبعة الثالثة للقرآن الكريم ترجمه د. **أبولون سيلاجازره** الرئيسُ الحالي لقسم الدراسات العربيّة بكلية الآداب في جامعة تبيليسي الحكوميّة، هذه الترجمة غير كاملة - فيها سورة الفاتحة

وسورة البقرة وسورة العمران وسورة النساء وسورة المائدة وسورة الأنعام وسورة الأعراف وسورة الأنفال فقط مع شرح المعاني القرآنية) .

مترجمو الأدب العربي إلى الجورجية هم المستشرقون المتخصّصون بالدراسات العربية ومبادئ الترجمة التي وضعوها تحمل الوجه الأكاديمي – هم يعتقدون أنّ الترجمة هي الظاهرة التابعة لهاتين الثقافتين وإنّ عدد النماذج الأدبية المترجمة وجودتها تقدّر المستوى لثقافة كلّ أمة من الأمم . الترجمة الجيدة هي الواقعة الأدبية المستقلّة وأحيانًا إنّها تضع حجر الأساس للنزعات والاتجاهات الأدبية الجديدة في الأدب الوطنيّ. وعلى الرغم من الوجه الأكاديمي فإنّ كلّ هذه الترجمات المذكورة أعلاه ليست تابعة للأوساط الأكاديمية فقط ، بل هي مفهومة تمامًا للقارئ العاديّ أيضًا الذي لا يوجد له خبرة ومعرفة الدراسات الشرقية .

في ترجمة الأدب العربيّ الحديث إلى الجورجية من الممكن أن نلاحظ فيها النزعات التالية : إنّ الجيل الجديد من المترجمين الجورجيين في عهد ما بعد السوفييتية فهم مُضطَرّون أن يخضَعوا لمطالب السوق . مثلاً مترجم نجيب محفوظ له فرص أكثر لإيجاد الناشر وبشروط أحسن من المترجم لكاتب عربيّ آخر قيمته لا تقلّ وسبب في ذلك يرجع إلى جائزة النوبيل وشهرة صاحبه أكثر من قيمه الأدبية الحقيقية . وذلك من المفهوم : سوق دُور النشر والطباعة ليست واسعة في جورجيا ويتجنّب الناشر أن يخاطروا بلا أساس . ومن الناحية الأخرى توجد في جورجيا الدوريات الأدبية التي تفتح أبوابها للأدب الشرقيّ وخاصّةً العربيّ بشجاعة أكثر من دور النشر والطباعة .

من الجدير بالذكر أنّ في المركز الوطنيّ للمخطوطات توجد المجموعات الشرقية من بينها المخطوطات العربية عددها أكثر من ألف نسخة . أغلبية هذه المخطوطات أصلاً من المناطق المختلفة لشمال القوقاز وتوجد المخطوطات من آسيا الوسطى، تتراوح تواريخ هذه المخطوطات بين القرنين الرابع عشر والتاسع عشر وموضوعات هذه المخطوطات متنوّعة : النحو والبلاغة والتصوف والطبّ والمنطق والهندسة وعلم الفلك إلخ . وقد تم نشر الفهارس

للمجموعات الشرقية ومن بينها العربية من قبل المركز الوطني للمخطوطات . دراسة هذه المخطوطات مجال مثمر للدراسات العربية في جورجيا. ومن نشاط المركز الوطني للمخطوطات في جورجيا الدراسة والنشر لبعض المخطوطات المسيحية العربية الموجودة بالمركز بالتحليل والمقارنة مع النسخ الأخرى غير العربية ، على وجه الخصوص مع النسخ اليونانية والسريانية والجورجية (على سبيل المثال تم إصدار *البستان* بمخطوط القرن العاشر من طور سينا من قبل المستشرقة الجورجية روسودان غفاراميا وعدة المخطوطات الأخرى).

كلّ المذكور أعلاه هو من جذورنا التاريخية ، أمّا الحاضر والآفاق المستقبلية فإنّ مطالبنا حاضرينا يدفعنا إلى الحفاظ على معرفتنا الموروثية من ماضي اللغات والأدب والتاريخ والثقافة الشرقية (خاصة العربية) لأنّ الاهتمام بالبلدان العربية في العالم كله يزداد يوماً بعد يوم ويرجع سبب هذا الاهتمام إلى المقدرة المتعاظمة للدول الشرقية في المجال الدولي ويجعل ذلك الدراسات الشرقية فرعاً استراتيجياً لكلّ العالم وخاصةً لجورجيا واقعاً على حدود الشرق والغرب وقادرة على لعب الدور المهمّ في العلاقات الشرقية - الغربية. ومن المستحيل ذلك دون الكوادر المحترفة من المستشرقين المتدربين على تأريخ الشرق وحاضره وثقافته ولغاته وديانته إلخ . إعداد هذه الكوادر في جورجيا مهمة جامعة تبيليسي الحكومية بواسطة برامجها التعليمية التي تنعكس فيها مطالب واقعنا .

إنّ جامعة تبيليسي الحكومية في جورجيا منذ إنشائها ولها موقع متميّز في الدراسات الأدبية وهي مركز أساسي للبحوث في الدراسات الشرقية أيضاً . من عام 2005 انضمت جامعتنا إلى عملية *بولونيا* وتمت الإصلاحات الجذرية التعليمية فيها بما في ذلك تقليل عدد الكليات (مثلاً، شملت كلية الآداب الكليات السابقة هذه : كلية الفلسفة والتاريخ واللغات الأوربية والاستشراق) . وتمّ إصلاح وتحديث البرامج الدراسية على جميع المراحل الدراسية : في البكالوريوس والماجستير والدكتوراه وذلك بالأخذ في عين الاعتبار الأمثلة للجامعات الأوربية المتقدمة . أمّا تعليم اللغات الأجنبية فأخذت جامعتنا نموذج الجامعات الأوربية وأدمجت في

قائمة المواد الدراسية الضرورية لكلّ التخصصات لكلية الآداب في مرحلة البكالوريوس إلى جانب اللغات الأوربية المنتشرة اللغات الكلاسيكية (اليونانية واللاتينية) أيضاً بسبب أهمية هذه اللغات وأهميّة الحضارة والتقاليد الهيلينية التي أسهمت إسهاماً كبيراً في إنشاء الثقافات الأوربية والشرقية الحديثة ولكن، اختلافاً عن النموذج الأوربي ، يُسَمَح للطلاب في جامعتنا أن يختار اللغة الكلاسيكية أو الشرقية كبديلة للغة الكلاسيكية وذلك اعتباراً لدور اللغات الشرقية ومُعْطِيَاتِهَا ودور الثقافة الشرقية عموماً في إنشاء الثقافة الجورجية . هذه هي اللغات التي لا غنى عنها في البحث العلمي لتأريخ جورجيا واللغة والأدب الجورجي .

خرّيجو جامعتنا بتخصّص اللغة العربية يعملون ليس في المجال العلمي فقط، بل في وزارات وشركات ومنظّمات مختلفة بصفتهم مترجمين . من المعروف أنّ عامل البيئة اللغوية لا غنى عنها في عملية تعليم اللغة الأجنبية . بعد الحصول على الاستقلال السياسي واجه بلدنا المشاكل الكثيرة ومن بينها في مجال التعليم أيضاً، خاصّة في توفير الموارد المالية لتمويل الدورات التدريبية اللغوية المنتظمة في البلدان العربية لطلابنا اللذين يدرسون في برنامج الدراسات العربية في جامعتنا . من ناحية أخرى، مطالب على الكوادر المؤهلة يوجد في سوق العمل الجورجية باعتبار زيادة الاستثمارات العربية في الاقتصاد الجورجي في الوقت الأخير الخ . بعد افتتاح السفارة الجورجية في القاهرة في 1998 وُضعت اتفاقية التعاون العلمي والتعليمي بين جامعة القاهرة وجامعة تبيليسي الحكومية وفي إطار تنفيذ هذه الاتفاقية وبمساعدة الصندوق المصري للتعاون الفني مع الدول الكومنولث والدول الإسلامية الأوربية والدول المستقلة حديثاً، ورغبةً في تدعيم علاقات التعاون في مجالات التعليم والتبادل العلمي والثقافي وتأهيل الطلاب والأساتذة ، يتمّ تنظيم الدورات التدريبية المكثفة بمركز اللغة العربية والثقافة بكلية الآداب في جامعة القاهرة. إنّ تحقيق هذا المشروع ساهم مساهمة كبيرة في زيادة الاهتمام لدي الطلاب باللغة العربية وإعادة الإدماج في عملية تعليم اللغة العربية بجامعة تبيليسي الحكومية عنصراً مهماً جدّاً وهو ممارسة التطبيق اللغوي في البيئة العربية الطبيعية . وبفضل الجهود التي يبذلها السلك الدبلوماسي الجورجي في البلدان العربية تجري الدورات

المماثلة للطلاب الجورجيين في جامعة الكويت وعلى أساس هذه الدورات يتم استخدام معرفة الطلاب اللغوية النظرية بالوجه العملي . وهذا هو عامل مهم في إعداد الكوادر المؤهلة لاشتغالهم بصفتهم مترجمين للغة العربية بمكاتب الترجمة وفي القطاع الخاص الخ .

إنّ المهمة لهذه الدورات إلى جانب تعميق معرفة طلابنا اللغوية وإغنائها بالخصوصيات المختلفة للغة العربية هي تشجيع توثيق العلاقات العلمية والتعليمية المستقبلية بين الأوساط الجامعية الجورجية والعربية (صياغة الأفكار لإعداد المشروعات العلمية المشتركة على مستوى الدراسات العليا الخ). من الممكن القول أنّ هذه الدورات ستكون الخطوة الأولى على سبيل التعاون المختلفة الجوانب بين جامعتنا والجامعات العربية.

وفي الختام أريد أن أقول أنّ مقالتي تحمل الوجة الإعلاميّ وكنتُ أستهدف فيها إلى التحليل العامّ للواقع بشأن وضع اللغة العربية في جورجيا . أتمنّى أيضاً أنّ العلاقات الثقافية الثنائية بين الأوساط العلمية والثقافية العربية - الجورجية يزداد بصورة أكثر كثافةً ممّا هي الآن .